قصص شعبية

صالح زيادنة

© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة ل

www.nashiri.net

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب

نشر إلكترونيا في أغسطس 2003

محتويات الكتاب

- مقدمة
- خرزات عمتي
- جرادة وعصفور
- الثور
- الحرذون
- كل نصيحة ببعير
- اشتغل في صنعة أبيك و توكل على الله
- بنت الخواضة
- المرأة اللعوب
- ضيقته كثيراً
- القادر كدّب عبد القادر
- كثرة اللُقَم بتطرد النقم
- بين حانا ومانا
- السيرة الذاتية للكاتب

مقدمة

قصص شعبية من عمق التراث الشعبي ، من تلك القصص التي نسمعها من أهلنا ، ومن آبائنا وأمهاتنا ، ونسمعها من أفواه الناس في المجالات الحياتية المختلفة ، في الدواوين حيث يجتمع الناس ويأخذون بتجاذب أطراف الحديث ، وكل يذكر ما مرّ به أو ما سمعه من قصص ، وقد حاولت جمع ما وعته الذاكرة وما سمعته من أفواه الأهل والناس من هذه القصص، فتابعوها عسى أن نوفق معاً في توثيق ما نستطيع من صفحات هذا التراث العريق ، لهذا الشعب العريق الطيب الذي قال عنه تعالى فى محكم كتابه : " وكنتم خير أمة أخرجت للناس " .

ونرجو منكم أيها الأخوة الأعزاء أن توافونا بآرائكم واقتراحاتكم وتوجيهاتكم السديدة ، حتى نستطيع أن نصل معاً إلى ما هو أفضل ، فيد واحدة لا تصفق ، وعود واحد لا يعمل حزمة كما تقول أمثالنا الشعبية .

صالح زيادنة

خرزات عمتي

كان من هوايات عمتي رحمها الله جمع الخرز بأنواعه ، وكان لكل خرزة عندها إسم خاص بها ولكلٍّ منها تأثير ومفعول لا تتميز به الخرزات الأخرى .

ولا يشطح ذهن أحدكم إلى الخرز الحديث أو البلاستيكي الذي نراه في السوق ، فالخرز الذي أحدثكم عنه هو خرزٌ من نوع آخر تماماً . فالأودية ومجاري السيول ومياه الأمطار بعد أن تجف هي المناجم الحقيقية لهذا الخرز ،وكانت عمتي عندما تمر من الوادي الذي يفصل بين بيتها وبيتنا تبدأ عيناها تدور يمنة ويسرة ، كَمَن يبحث عن شيء أضاعه ، وهي تتفرس الحجارة الصغيرة بدقة شديدة ، فإذا وقعت عينها على حجر صغير أملس ، تكاد يدها تسبق عينها إليه ، فتلتقطه بلهفة ، ثم تمسحه بطرف ثوبها لتزيل بقايا التراب العالقة به ، وتنظر إليه بإعجاب نظرة من وجد شيئاً ثميناً ، ثم تدسّه في عِبِّهَا بعد أن ترتسم على ثغرها ابتسامة عريضة .

ولا تتابع عمتي سيرها قبل أن تضع في عِبِّهَا حفنة من الخرزات الثمينة ، وعندما تصل إلى بيتنا وقبل أن تدخله من جهة الرواق تنفحنا ببيتٍ من الشِّعْر تعلّق به على ما تراه أمامها ، ولم يحدث أبداً أن دخلت عمتي بيتنا دون أن يسبقها بيتٌ من الشِّعْر تنتقد به ما لا يعجبها من تصرفاتنا . فهي ناقدة في كل الأحوال .

وكنا صغاراً نرى في عِبّ عمتي بعض النتوءات البارزة فنظنها " كعكبان " وهو نوع من الحلوى في ذلك الزمان ، فنجلس بجانبها ونسألها أن تخرج لنا مما يوجد في عِبِّهَا ، ولكن ما أعظم خيبتنا عندما تمد عمتي يدها إلى عِبِّهَا وتخرجها مليئة بالحجارة الصغيرة الملساء وتنشرها أمامها على الفراش .وتوجه كلامها إلى أمي وهي تضع حجراً صغيراً في يدها وتقول: هذي سِمْلِك ، انظري إليها ، ما أشدّ بياضها

، وتهز أمي رأسها بالإيجاب وكأنها فهمت كل شيء ، أما نحن فنتصور حبَّات الكعكبان في تلك الحجارة الصغيرة ، ولكننا نسأل عمتي بشيء من الفضول : ما هو السملك يا عمتي ؟ وتتابع عمتي حديثها قائلة : يعني إذا زوج المرأة خطب عليها ضُرَّة ، فإنه يخطب ولا يملك ، أي لا تتم خطوبته بل تفسخ قبل إتمامها وكل ذلك بفضل خرزة السِّمْلِك ، وتضيف عمتي : إنها مُجَرَّبَة ، كل النسوان بيلبسنها ، ما في مَرَه في عيلتنا ما معها سِمْلِك !.

وتتابع شرحها وتقول : وهذي سلوى اللي بتحطها في رقبتها زوجها ما بيسلاها ، وهذي ڤبْلَة اللي بتشيلها معها جوزها ما بيقبل على غيرها ، وتقول لأمي : خذي لكِ هالخرزتين أحسن ما يتزوج عليك إسماعين ، الزلام ما لهم أمان ، كلهم ما لهم أمان.

ولا تنفع خرزات السملك عمتي ، ولا بقية الحجارة الملساء الأخرى التي التقطتها من الوادي فقد تزوج عليها زوجها ، وطردها لتعيش بقية عمرها في بيت أولادها.

تُرى كم من نسائنا تؤمن بك وبسحرك العجيب يا خرزة السملك !

قصة جرادة وعصفور

يحكى أنه كان هناك شيخٌ يُدعى عصفور ، وكانت له زوجة تُدعى جرادة ، وكانا يعيشان حياة فقرٍ وعوز ، وفي أحد الأيام أشارت عليه زوجته أن يبحث له عن عمل ، ولما لم يجد ما يعمل به ، أشارت عليه أن يعمل نفسه ساحراً ويجلس على الرصيف ويحكي ما شاء له من الكلام عله يأتي ببعض النقود في نهاية اليوم ليشتروا بها ما يقتاتون به ، وافق عصفور على رأي زوجته وذهب في اليوم التالي إلى المدينة وجلس على الرصيف وبسط أمامه منديلاً ووضع عليه الرمل وأخذ يخط عليه بأصابعه وكأنه يتقن أسرار هذه الصنعة ، فتهافت الناس عليه كل يسأله عن حل لمشكلته ، وهو يلقي الكلام على عواهنه بعفوية وبساطة وكيفما اتفق ، ولكنه كان كثيراً ما يصيب ، وكان يعود في نهاية اليوم وقد جمع كثيراً من النقود حتى تحسنت حاله ، ودام على ذلك فترة من الزمن اكتسب خلالها شهرة واسعة ، واكتسب كذلك جرأة على العمل في هذا المجال ، وحدث في أحد الأيام أن سطت عصابة من اللصوص على خزنة الملك وسرقوا منها صندوقين من المال ، فدعا الملك وزراءه وتشاوروا في الأمر وقرروا البحث عن ساحر يضرب الرمل ويكشف عن مكان الصناديق المسروقة ويكشف عن السارقين ، ولما كان عصفور قد اكتسب شهرة واسعة فقد وصلت شهرته إلى مسامع الملك وحاشيته ، فأمر بإحضاره وطلب منه الكشف عن مكان الصندوقين واللصوص ، أسقط في يد عصفور ولم يدر ما يعمل وطلب مهلة من الملك ليدبر أموره ويضرب الرمل ويستشير أعوانه ، فأعطاه الملك مهلة أربعين يوماً ، ولما كان عصفور لا يعرف الحساب ولا العَدّ ، فأخذ زوجته إلى السوق واشترى أربعين حبة رمان ليأكل كل ليلة رمانة منها فيعرف ما تبقى من أيام المهلة . وسمع اللصوص الخبر وكانوا أربعين لصاً وزعيمهم ، فخشوا من افتضاح

أمرهم وأيقنوا أن عصفور كاشف عنهم لا محالة . وفي الليلة الأولى طلب زعيم اللصوص أن يذهب أحدهم إلى بيت عصفور ويتجسس الأخبار ويحاول أن يسمع ما يقوله عصفور ، وقبل أن ينام عصفور طلب من زوجته أن تحضر رمانة ليأكلوها لانقضاء أول ليلة من أيام المهلة ، وعندما أحضرتها قال عصفور هذا أول واحد من الأربعين وهو يقصد أول يوم من الأربعين يوماً ، ولما سمع اللص ذلك سقط قلبه في جوفه ، وظن أن عصفور قد شعر به وعلم بوجوده ، فهرب وعاد إلى زعيمه واخبره بما سمع من عصفور وكيف شعر به وعلم بوجوده دون أن يراه ، وفي الليلة التالية بعثوا لصاً آخر ليتجسس أخبار عصفور ، وعندما أحضرت له زوجته الرمانة قال هذا ثاني واحد من الأربعين وحدث مع الثاني كما حدث مع الأول ، ودام الحال على ذلك عدة ليال حتى ضج اللصوص من الخوف واقشعرت أبدانهم ولما لم يرض أحد منه بالذهاب إلى بيت عصفور قرر الزعيم الذهاب بنفسه وسماع ما يقوله عصفور ، وفي المساء عندما أحضرت زوجة عصفور له الرمانة أمسك بها وكانت كبيرة واكبر واحدة في الرمانات ، فقال عصفور هذا اكبر واحد في الأربعين وهو يقصد حبة الرمان ، أما الزعيم فظن أنه يقصده لأنه أكبر واحد في العصابة وهو زعيمهم فخاف وعاد إلى أصحابه وقرر إعادة الصندوقين وتسليم أنفسهم ، وهكذا فعلوا ، فسلمهم عصفور في اليوم التالي إلى الملك وطلب منه أن يخفف عقوبتهم . وطار صيت عصفور بعد ذلك وانتشر خبره وعمت شهرته كل أرجاء المملكة واصبح ساحر القصر بلا منازع ، وفي يوم سألته الملكة وكانت حاملاً وعلى وشك الوضع : هل تعرف أين ألد يا عصفور فكر عصفور ملياً ولما لم يعرف الجواب قال لا فوق ولا تحت ، وصعدت الملكة الدرج إلى حجرتها فسابقها الطلق ووضعت قبل أن تصل إلى غرفتها ، فقالت صدق عصفور فقد تنبأ لي بذلك وكافأته وأحسنت إليه . أما الوزير فكان يشك في صدق عصفور ويقول للملك انه كاذب ، وفي يوم سنحت له الفرصة أن يمتحن عصفور ويوقع به وذلك أن جرادة طارت من مكانها ومرت أمام شرفة القصر

وعلى مرأى من الملك ووزرائه فانقض عليها عصفور وابتلعها وكانت كبيرة فوقفت في حلقه ولم يستطع ابتلاعها فوقع ومات ، فكر الوزير بمكيدة يوقع بها عصفور فقال للملك إن كان ساحرك ماهراً فدعه يخبرنا كيف مات هذا العصفور فأمر الملك بإحضاره وسأله الوزير عن سبب ميتة العصفور ، عرف عصفور بالمكيدة لأنه كان يعرف كراهية الوزير له ، وجعل يندب حظه ويلوم زوجته التي أشارت عليه وأوقعته في هذا المأزق وقال وهو يجهش بالبكاء : لولا جرادة ما وقع عصفور وهو يقصد لولا جرادة زوجته لما وقع هو في هذا المأزق ، وظن الملك والوزير أنه يقصد لولا الجرادة التي وقفت في حلق العصفور لما وقع ومات ففرح الملك لفشل مكيدة وزيره وأمر بمكافأة عصفور على ذلك ففرح عصفور بخلاصه بعد أن كان لا يصدق بالنجاة.

الثور

كان عند أحد الأشخاص ثور صغير هزيل الجسم ، لا يسمن ولا تتحسن حالته ، بالرغم من كثرة الطعام الذي يقدمه له صاحبه من عَلَفٍ وقشٍّ وتبن وغيره .

وعندما طالت المدة ولم تتحسّن حالة الثور ذهب صاحبه إلى أحد الشيوخ "الخطباء" وشكا له حالة ثوره وكيف إنه قلق جداً عليه ، ويخشى إن استمر الحال على ذلك أن يصاب ثوره بمكروه ، وطلب من الخطيب أن "يَفْتِش " لثوره ، وأن يعمل له " ورقة " ليشفى من الهزال الذي هو فيه ، فطمأنه الشيخ قائلاً : عد إليّ في الغد وسأعمل له ما يعيد إليه عافيته ،و في الغد أعطاه "حجاباً " ملفوفاً على شكل مثلث لفّاً جيداً وقال له علّقه في رقبة ثورك وسيزول الشرّ إن شاء الله .

وبعد عدة أيام بدأ الثور يتحسن شيئاً فشيئاً ، وسمن جداً حتى أصبح ثوراً كبيراً ، فأصاب الرجل شيء من الفضول وحب الاستطلاع لهذا السر الذي يكمن في الحجاب والذي أدى إلى هذه النتائج المرضية والسريعة وقال في نفسه سأفتح هذا الحجاب وأرى ماذا كتب فيه الشيخ . وفعلاً فكّ الحجاب من رقبة الثور وفتحه وقرأ ما كتب فيه ، وإذا هو سطر واحد لا غير كتب فيه :" يسمن الثور يا إن شاء الله عمره ما سمن ".

فضحك الرجل من سخافته وقلة عقله وكيف صدق هذه الأباطيل ومزق الحجاب غاضباً ورمى به إلى الأرض .

ولكن يقال إن الطريف في هذه القصة أن الثور بدأ يهزل من جديد .

الحرذون

يُحكى أنَّ امرأة شابة متزوجة حديثاً ، كانت لديها خيمة كالمطبخ تخبز فيها ، وكانت كلما دخلت هذه الخيمة ترى حرذوناً يقف على عمود في زاوية من زوايا البيت وهو ينظر إليها باستمرار .

فأوجست المرأة خيفةً من هذا الحرذون ، وأصبحت تخشى من دخول الخيمة ، وشَكَتْ إلى زوجها من هذا الأمر ، وأخبرته بقصة الحرذون الذي ينظر إليها وأعربت عن قلقها وخوفها منه .

ولكن زوجها سخر منها ، ومن سخافة أقوالها وقلة عقلها ، وقال لها أتخشين من حرذون ؟!، وماذا يمكن أن يفعله بك حرذون مسكين كهذا ؟ .. ولكنها لم ترضَ بدخول الخيمة إلا إذا رافقها زوجها حتى يشاهد بنفسه على الأقل هذا الحرذون الذي يشكل مصدر خوف وإزعاج لها .

وانصاع الزوج لأمر زوجته ، ودخل معها الخيمة فأرته الحرذون الذي ينظر إليها ، يقف في زاوية من زوايا البيت ، فقال لها الزوج ساخراً : أتخشين من هذا الحرذون ؟ وقهقه ضاحكاً وقال : إذن خذها يا حرذون ؟.

وما أعظم دهشة الرجل ، وما أشد خيبته ، عندما وجد أن زوجته قد اختفت بالفعل ، واختفى معها ذلك الحرذون أيضاً .

اختفت زوجته ، ولم يعد يجد لها أثراً وكأن الأرض ابتلعتها ، فجن جنون الرجل ، وأدرك أن امرأته كانت على حق ، وأن مخاوفها كانت في مكانها ، وأن ذلك الحرذون

لم يكن حرذوناً حقيقياً بل جنياً في شكل حرذون ، ولام نفسه لأنه سخر من زوجته ، وفرّط فيها بإهماله وسخريته منها .

وأخذ الرجل يندب حظه ، ويبكي على زوجته ، ويبحث عن طريقة لإرجاعها إلى بيتها ، فأرشده بعض أقاربه وأصدقائه ، ودلّوه على ساحرٍ كبير ، له باع طويلة في حلّ مثل هذا الأمور ، وقالوا إن كثيراً من الناس قد جربوا علاجه ومدحوه وشكروا صنيعه .

توجه الرجل وبعض أشخاص من أهله إلى ذلك الساحر وأخبروه بالقصة وأحضروه معهم ليشاهد مكان الحادث ، فضرب المندل وأمر بإحضار الحرذون الذي خطف المرأة ، وعندما حضر أمره بإرجاعها إلى مكانها وإلا أحرقه ، فرفض الحرذون أن يطلق سراحها مدعياً أن زوجها هو الذي قال له أن يأخذها ، فأخبره الساحر بأن زوجها لم يكن يدري بأن ذلك الحرذون هو مارد من الجن ، ولذلك عليه أن يطلق سراحها ، ولكن الحرذون رفض أيضاً هذا الطلب وأصر على إبقائها معه .

فأمر الساحر بإحضار ملك الجن وقرأ من العزائم التي يعرفها وأطلق البخور في المكان ، فحضر الملك فأمره بإجبار ذلك الحرذون على إطلاق سراح المرأه وإلا أحرقه بعزائمه وعهوداته التي بينهم ، غير أن الحرذون أصر على عناده ، ولم ينصع لأمر الملك أيضاً ، فأمر الملك عندها بإعدامه شنقاً ، فرأى الذي يشاهد المندل وقد أعدموا ذلك الجنيّ وعلقوه على شجرة ، فأغلق الساحر حينها كتبه وصفّق بيديه ، وإذا بالمرأة تظهر أمامهم سليمة معافاة ، وإذا بالحرذون يبدو معلقاً من رقبته ومشنوقاً بخيط على العمود الذي كان يقف عليه في زاوية البيت .

وهكذا عادت المرأة إلى زوجها الذي كاد يقطع الأمل في عودتها سالمة إليه .

كل نصيحة ببعير

يحكى أن أحدهم ضاقت به سبل العيش ، فسئم الحياة وقرر أن يهيم على وجهه في بلاد الله الواسعة ، فترك بيته وأهله وغادر المنطقة متجهاً نحو الشرق ، وسار طويلاً حتى وصل بعد جهد كبير ومشقة إلى منطقة شرقي الأردن ، ولفى على أحد الأجواد الذي رحب به وأكرم وفادته وبعد انقضاء أيام الضيافة سأله عن غايته ، فأخبره بها ، فقال له المضيف : ما رأيك أن تعمل عندي على أن أعطيك عن كل عام بعير ، ولما كان صاحبنا بحاجة إلى مكان يأوي إليه ، وإلى عمل يعمل فيه اتفق معه على ذلك .

ومضت السنوات الثلاث وتاقت نفس صاحبنا إلى بلاده وإلى رؤية أهله وأبنائه ، فأخبر صاحب البيت عن نيته في العودة إلى بلده فأعطاه البعران الثلاثة وودعه ، وبعد أن قطع مسافة طويلة في الصحراء القاحلة رأى شيخاً جالساً على قارعة الطريق ، وعندما وصله حيّاه وسأله ماذا يعمل لوحده في هذا المكان الخالي وتحت حر الشمس وهجير الصحراء ، فقال له : أنا أعمل في التجارة ، فعجب الرجل وقال له : وما هي تجارتك يا هذا ، وأين بضاعتك ؟ فقال له : أنا أبيع نصائح ، تبيع نصائح وبكم النصيحة فقال له : كل نصيحة ببعير .

فأطرق الرجل مفكراً في النصيحة وفي ثمنها الباهظ الذي عمل حولاً كاملاً من أجل الحصول عليه ، ولكنه في النهاية قرر أن يشتري نصيحة مهما كان الأمر فقال له : هات لي نصيحة ، وسأعطيك بعيراً ؟

فقال له الشيخ :" إذا طلع سهيل لا تأمن للسيل " .

ففكر الرجل في هذه النصيحة وقال: ما لي ولسهيل في هذه الصحراء وماذا تنفعني هذه النصيحة في هذا الوقت بالذات . وعندما وجد أنها لا تنفعه فقال للشيخ : هات لي نصيحة أخرى وسأعطيك بعيراً آخر ، فقال له : " أبو عيون بُرْق وأسنان فُرْق لا تأمن له " .

وتأمل صاحبنا هذه النصيحة وأدارها في فكره ولم يجد بها أي فائدة ، ولم يبق معه سوى بعير واحد ، فقال والله لأغامرن حتى النهاية حتى لو ضاع تعب السنوات الثلاث في دقائق معدودة، وقال للشيخ هات النصيحة الثالثة وسأعطيك آخر بعير معي فقال له : " نام على الندم ولا تنام على الدم " .

ولم تكن النصيحة الثالثة بأفضل من سابقتيها ، فترك الرجل الشيخ وسار على قدميه لا يملك جملاً ولا غيره ، وسار عدة أيام نسي خلالها النصائح من كثرة التعب وشدة الحر ، وفي أحد الأيام أدركه المساء فوصل إلى عربان قد نصبوا خيامهم في قاع واد كبير ، فتعشى عند أحدهم وبات عنده ، وفي الليل وبينما كان ساهراً يتأمل النجوم طلع سهيل ، وعندما رآه الرجل تذكر النصيحة التي قالها له الشيخ ففر مذعوراً وأخبر مضيفه بقصة النصيحة وطلب منه أن يخبر قومه حتى يخرجوا من قاع الواد ، ولكن المضيف سخر منه ومن قلة عقله ولم يكترث له ولم يأبه لكلامه ، فقال والله لقد اشتريت النصيحة ببعير ولن أنام في قاع هذا الوادي ، فقرر أن يبيت على مكان مرتفع ، فأخذ جاعده ونام على مكان مرتفع بجانب الوادي .

وفي أواخر الليل جاء السيل يهدر كالرعد فأخذ البيوت والعربان ، ولم يُبق سوى بعض المواشي . وساق الرجل ما تبقى من المواشي وأنعق لها فتبعته وسار في طريقه عدة أيام أخر حتى وصل في أحد الأيام إلى بيت في الصحراء ، فرحب به الرجل وكان نحيفاً خفيف الحركة ، وأخذ يزيد في الترحيب به والتذبذب إليه حتى

أوجس منه الرجل خيفة ، فنظر إليه وإذا به " ذو عيون بُرْق وأسنان فُرْق " فقال : آه هذا الذي أوصاني عنه الشيخ نفس المواصفات لا ينقص منها شيئاً .

وفي الليل تظاهر الرجل بأنه يريد أن يبيت خارج البيت قريباً من مواشيه وحلاله ، وأخذ فراشه وجَرَّه في ناحية ، ولكنه وضع حجارة تحت اللحاف ، وانتحى مكاناً غير بعيد يراقب منه حركات مضيفه ، وبعد أن أيقن المضيف أن ضيفه قد نام ،خاصة بعد أن لم يرى حراكاً له ، أخذ يقترب منه على رؤوس أصابعه حتى وصله ولما لم يسمع أية حركة منه تأكد له أنه نائم بالفعل ، فعاد وأخذ سيفه وتقدم منه ببطء ثم هوى عليه بسيفه بضربه شديدة ، ولكن الضيف كان يقف وراءه فقال : لقد اشتريت والله النصيحة ببعير ثم ضربه بسيفه فقتله ، وساق ماشيته وغاب في غياهب الصحراء .

وبعد مسيرة عدة أيام وصل في ساعات الليل الى حَيِّه ، فوجد مضارب قومه على حالها ، فترك ماشيته خارج الحي ، وسار ناحية بيته ورفع الرواق ودخل البيت فوجد زوجته نائمة وبجانبها شاب طويل الشعر ، فاغتاظ لذلك ووضع يده على حسامه وأراد أن يهوى به على رؤوس الاثنين ، وفجأة تذكر النصيحة الثالثة التي تقول " نام على الندم ولا تنام على الدم " ، فبردت أعصابه وهدأ قليلاً فتركهم على حالهم ،وخرج من البيت وعاد إلى أغنامه ونام عندها حتى الصباح ، وبعد شروق الشمس ساق أغنامه واقترب من البيت فعرفه الناس ورحبوا به ، واستقبله أهل بيته وقالوا : والله من زمان يا رجل ، لقد تركتنا منذ فترة طويلة ، انظر كيف كبر خلالها ابنك حتى اصبح رجلاً ، ونظر الرجل الى ابنه وإذا به ذلك الشاب الذي كان ينام بالأمس بجانب زوجته فحمد الله على سلامتهم ، وشكر ربه أن هداه إلى عدم قتلهم وقال بينه وبين نفسه والله ان كل نصيحة أحسن من بعير ، وهكذا فإن النصيحة لا تقدّر بثمن إذا فهمناها وعملنا بها في الوقت المناسب .

اشتغل في صنعة أبيك وتوكّل على الله

يحكى أنه كان هناك شاب زاهد متعبد يرتدي ثياب الزاهدين ، من ثوب أبيض وعمامة خضراء وغيرها ، وكان هذا الشاب هو الذي يعيل أمه وإخوانه ، وفي ذات يوم ضاقت في وجهه سبل العيش ولم يجد عملاً ، أو أي شيء يرتزق منه ، وكان يتمشى في أحد الأيام في سوق البلدة والحزن يخيّم عليه ويرتسم على وجهه ، فلاقاه شخص من معارفه ، وسأله ما الذي بك يا فلان ؟ فأخبره عن حالة وعن الوضع المادي الصعب الذي يعيشه . فقال له : اعمل في صنعة أبيك يا أخي وتوكّل على الله . ولما كان لا يعرف ما هي صنعة أبيه لأنه مات وهم صغار توجّه إلى أمه وسألها قائلاً : ماذا كان يعمل أبي يا أمي ، وما هي صنعته ؟ فتغير وجه الأم وقالت كان يعمل في التجارة يشتري ويبيع ويربح ويرتزق من ذلك ، غير أن الشاب لم يقتنع بهذا الكلام فقال لأمه : والله إن لم تخبريني عن صنعة أبي لأتركن هذا البيت ولن تعودي ترين وجهي مرة ثانية . ولما رأت الإصرار في نبراته وأيقنت أنه يعني ما يقول تنهدت الأم وهي تقول : وماذا كان يصنع أبوك ، كان لصاً يحمل عتلة ونبوتاً وهذه أدوات صنعته ، فيفتح أبواب الناس بالعتلة ويضرب بالنبوت من يجيء في وجهه من الناس ، لقد قضى أكثر أيام حياته هائماً على وجهه في الجبال خوفاً من الناس ومن الحكومة ، وقضى الباقي في السجون ، وكنت لا أراه في السنة إلا لأيام قليلة ، وصدقني إني كنت أتنمى له الموت حتى يريحني ويريح نفسه . وسكتت الأم بعد أن أفرغت ما لديها من كلام طالما كتمته ولم تُصرّح به ، ولكن دمعات خفيفة كانت تتدحرج من مقلتيها .

أما الشاب فذهب إلى السوق واشترى عتلة ونبوتاً ، وقرر أن يشتغل في صنعة أبيه ، وبعد منتصف الليل سار لوحده يحمل أدواته المذكورة حتى وصل إلى قرية مجاورة ، وكان الظلام حالكاً والليلة غير قمراء مما يسهل مثل هذه الأعمال ، وتوجه إلى أول

بيت صادفه في طرف البلدة ، وبالعتلة الحديدية وبخفة شديدة فتح الباب الخشبي ، ونظر داخل الغرفة وإذا برجل وامرأة ينامان على سريرهما ، فأغلق الباب وقال أعوذ بالله من أعمال الشيطان وقال لنفسه : من أعطاني الحق في فتح بيوت الناس وكشف أسرارهم وعوراتهم ، ثم ترك البيت وذهب للبيت المجاور ، وبخفة ورشاقة فعل به كما فعل بالأول ، وإذا فتاة وحيدة تنام على سريرها ، فتعوّذ بالله من الشيطان وأغلق الباب وقال لنفسه إن ما أقوم به هو عمل لا يرضاه الله ، فترك هذا البيت وسار إلى البيت الذي يجاوره ، وفتح بابه بعتلته بكل خفة ورشاقة ونظر داخله وإذا به بضعة جِرَار ، فقال الآن الوضع أحسن مما كان عليه في الأول ، ثم فتح جرة من هذه الجرار وإذا بها مليئة بالقطع الذهبية وكذلك باقي الجرار ، فقال لنفسه : إن هذا المال له أصحاب ادخروه ووفروه وتعبوا من أجله ، ومن أعطاني الحق في سرقته ، والله لن أسرقه ولكنني سآخذ منه الزكاة ، سأقسمه وآخذ منه العُشْر ، فأشعل سراجاً كان هناك وبدأ يعد تسعة هنا وواحدة هناك ، وهكذا وهو على هذه الحال يعدّ تسعة هنا وواحدة هناك أذَّنَ مؤذن البلدة لصلاة الفجر ، فترك العدّ وفرش عباءته وبدأ يصلي الفجر ، ومر الناس إلى المسجد فرأوا البيت مفتوحاً والسراج مضيئاً فتنافروا وأتوا بهراواتهم وعصيهم ، ولكن عندما رأوا الرجل يصلي تركوه حتى يكمل صلاته ، وبعد أن فرغ من الصلاة أحاطوا به وقالوا له : ما الذي تعمله هنا ؟ وكيف تفتح بيوت الناس وتأخذ أموالهم ؟ وما الذي تعمله في المال حتى جعلته كومين : فقال لهم : أتركوني وسأخبركم بالحقيقة ، ثم سرد عليهم قصته بكاملها ، فقال أحدهم وكان أكثرهم لغطاً : أما البيت الأول الذي فتحته ورأيت به الرجل والمرأة وسترتهم وأغلقت عليهم الباب ، فهذا بيتي والرجل أنا والمرأة زوجتي ، أما البيت الثاني الذي فتحته ورأيت به الفتاة وسترتها وأغلقت عليها الباب فهذا بيتي أيضاً والفتاة ابنتي الوحيدة ، أما البيت الثالث الذي به المال وهو هذا والذي لم ترضَ أن تسرق منه المال بل اكتفيت بالزكاة فهو بيتي أيضاً وهذا مالي ، ولأنك شاب مؤمن وتقي فقد زوجتك ابنتي

الوحيدة التي رأيتها وقاسمتك في مالي هذا الذي بين يديك ،وأعطيتك بيتاً من هذه البيوت تعيش فيه مع زوجتك ، فخر الشاب راكعاً لله يشكره ويحمد فضله ، على أن هداه وأبعد عنه إغواء الشيطان ، ثم ذهب إلى بلده وأتى بأمه وإخوانه ليعيشوا معه في هذا العز الذي لم يكن يحلم به ، وهكذا نرى مدى تأثير الإيمان على النفوس ، وعلى الأخلاق السامية النبيلة ، وكيف تقود الإنسان إلى عمل الخير ونبذ الشر والفساد .

بنت الخوّاضة خوّاضة

يحكى أن رجلاً طلّق امرأته بعد أن شك في نزاهتها وعفتها ، وكانت قد أنجبت له بنتاً فتركتها عنده وعادت إلى أهلها ، وعاشت الطفلة في كنف والدها ، وبعد أن أصبحت صبية أخذت ترعى معه الإبل ، وفي أحد الأيام وبعد مرور فترة من الزمن ، أراد الرجل أن يعبر مع إبله أحد الأودية الذي يسيل بالماء ، إلى الجهة الأخرى حيث ترعى إبله ، ولكن السيل حال بينه وبين ذلك ، ومنعه من العبور فتراجعت الإبل لا تجسر على عبور الوادي ، فقالت ابنته : امسك البَكْرَة الفلانية وادفعها أمام الإبل فستخوض الماء لأن أمها كانت خواضة تخوض الماء ، فقال هل أنت متأكدة فقالت نعم ، فامسك بالبكرة ودفعها أمام الإبل فخاضت الماء وعبرت إلى الجهة الأخرى وتبعتها الإبل وعبرت وراءها ، وربط الرجل نفسه وربط ابنته معه بحبل وعبر الماء وعندما أصبح في وسط السيل قال لها كيف عرفت أن البَكْرَة الفلانية ستخوض الماء فقالت لقد كانت أمها خواضة وبنت الخواضة خواضة فقال صدقتِ يا ابنتي ، ثم قطع الحبل بها ودفعها فابتلعتها المياه وأخذها السيل .

المرأة اللعوب

يُحكى أن رجلاً بدوياً احتاج بعض المال فذهب ليبيع خروفاً له في سوق المواشي ، وكانت المسافة بعيدة ويحتاج من يجلب مواشيه أن يذهب في المساء ويبيت في الطريق وفي الصباح التالي يصل إلى السوق ، وفي ساعات المساء اختار البدوي مكاناً ليبيت فيه وربط خروفه بجانبه ، وباتت مجموعات أخرى من الناس في نواحي المكان .

فرآه بعض القوم الخبثاء ، وكانت معهم امرأة ماكرة لئيمة ، فقالت ماذا تعطوني لو عشيتكم من خروف هذا الرجل ، فقالوا نعطيك الشيء الفلاني ، فذهبت إليه وتحدثت معه وقالت له إنها وحيدة في هذا المكان وتريد أن تذهب إلى السوق ، وسألته هل أنت متزوج فقال لا فقالت وكذلك أنا ، وقالت له إنها جوعانة ولم تذق طعم الأكل منذ فترة ، فقال ما دمنا سنتزوج فلا حاجة بنا إلى بيع الخروف ، وذبحه وشوى منه وتعشيا معاً ، وبعد أن شبعت قالت تعال بنا نتمشى قليلاً وأخذت تتدلع عليه وطلبت منه أن يركبها على رقبته ، فوضع ما تبقى من اللحم في خريطة (كيس من القماش أو الجلد) كانت معه ، وأركبها على رقبته ، وهي تقول له سر بنا من هنا ومن هناك حتى أقبلت على جماعتها وأصبحت قريبة منهم فقالت قرشوا للأقيمر جاكوا ، فهبّوا إليه . فشعر الرجل بخديعة المرأة ومكرها معه ، وكان رجلاً طويلاً عظيم البنية ، فشدّ على رجليها بيده ، ووضع يده الأخرى على ظهرها وأطلق ساقيه للريح فانطلق القوم في أثره ولكنه ضاع من بين يديهم و اختفى في ظلام الليل ولم يستطيعوا اللحاق به ، وفي الصباح ركبوا خيولهم وقصوا الأثر فوجدوا أثر أقدامه غائراً في الأرض عدة سنتيمترات ، ووجدوه قد داس على أفعى فقطعها نصفين دون أن يشعر بذلك ، ووجدوا في الطريق قافلة جمال فسألوا صاحبها هل رأيت رجلاً يمر في الليل من هنا

، فقال لقد جفلت الإبل في الليل وكادت تدوسني ، وسمعت قرقعة ، ورأيت زَوْلاً (شبحاً) يمر كأنه السهم من هنا ولم أستطع التحقق منه لسرعته ، فعاد القوم أدراجهم مخذولين ، أما الرجل فعاد بعد سبع سنوات ومعه زوجته وعدة أطفال قد ولدوا له منها .

ضَيَّقْتَه كثيراً

يحكى أنَّ صديقين اتفقا على ضيافة أحد الأجواد حتى يتناولا طعام الغداء عنده ، وكانت عادة الضيافة مشهورة في ذلك الزمان ، فلم يكن وراء الناس ما يشغلهم من الأعمال ، وقد اشتهر هذان الصديقان بالكذب ،وكانا يعرفان ذلك من نفسيهما ، فقال أحدهما للآخر اسبقني أنت بضيافة فلان ، وأنا سأجيء من بعدك ، واجعل نفسك لا تعرفني ، وعندما يصافحني المضيف قم وصافحني أيضاً وكأنك لم تعرفني من قبل ، وإذا كذبت أنا وسرحت كثيراً في الكذب فاقرصني بجنبي حتى انتبه لنفسي ، وإذا كذبت أنت فسأقرصك أنا ، وهكذا كان فذهب الأول لضيافة صاحب البيت الذي رحّب به وأكرم وفادته ، وبعد ذلك بقليل جاء الآخر من مكان مختلف ، وصافح صاحب البيت وصافح صديقه وجلس بجانبه وكأن لا معرفة بينهما ، وبعد أن تناولا طعام الغداء نظر أحدهما إلى بيت المضيف وقال : الحقيقة إن بيتك هذا جميل ولكنه صغير نسبياً ، وقد بنيت أنا بيتاً أكبر منه بكثير ، فقال له المضيف : وكم طول بيتك ؟ فقال : سبعون متراً ، فقرصه صاحبه الذي بجانبه ، فقال المضيف وكم عرضه فقال : متراً واحداً ، فقال له : لقد ضَيَّقْتَه كثيراً ، فقال : الله يضيّق على اللي بيضيّق .وهو يقصد بذلك صاحبه الذي لم يتركه يكذب على راحته .

القادر كَذّب عبد القادر

يُحكى أنه كان هناك رجل صالح عرف بكراماته العديدة وبصدقه وشدة ورعه ودينه ، وكان هذا الرجل يُدعى عبد القادر ، وفي أحد الأيام جاءته امرأة حامل وطلبت منه أن يخبرها عن نوع الجنين الذي في بطنها وهل هو ذكر أم أنثى ، ووضع الرجل الصالح يده على بطنها من فوق ثيابها ، بعد أن سمى باسم الله الرحمن الرحيم ومَرَّر يده عدة مرات وكأنه يتحسس نوع الجنين وحركاته ، وقال للمرأة إن الذي في بطنك ولد ذكر وقد لمست عضو ذكورته بيدي ، وعادت المرأة إلى بيتها فرحة مستبشرة مسرورة الخاطر وأخبرت زوجها بذلك ، وبعد انتهاء فترة الحمل وضعت المرأة مولودة أنثى ، فأسقط في يدها وعادت بعد فترة لتعاتب الرجل الصالح على عدم تدقيقه معها في ما قاله لها ، فقال لها الرجل الصالح : أنا لمست عضو ذكورة الجنين الذي في بطنك بيدي ، ولكن القادر كذّب عبد القادر ، فهو سبحانه قادر على كل شيء ، ولا يعجزه تغيير نوع جنينك ، وليكن اتكالك على الله وليس على أحد من خلقه وعباده .

فخشعت المرأة لله وعادت إلى بيتها بعد أن غمرها الهدوء والسكينة .

كثرة اللقم بتطرد النقم

يحكى أن امرأةً رأت في الرؤيا أثناء نومها رجلاً من أقاربها وقد لدغته أفعى سامة فقتلته ومات ، وقد أفزعتها هذه الرؤيا وأخافتها جداً ، وفي صباح اليوم التالي توجهت إلى بيت ذلك الرجل وقصّت عليه رؤياها وعَبَّرَت له عن مخاوفها ، وطلبت منه أن ينتبه لما يدور حوله ، ويأخذ لنفسه الحيطة والحذر .

فنذر الرجل على نفسه أن يذبح رأسين من الضأن نذراً لوجه الله تعالى عسى أن ينقذه ويكتب له السلامة من هذه الرؤيا المفزعة .

وهكذا فعل ، ففي مساء ذلك اليوم ذبح رأسين كبيرين من الغنم ودعا أقاربه والناس المجاورين له ، وقدم لهم عشاءً دسماً ، وفرّق باقي اللحم حتى لم يبقَ منه إلا ساقاً واحدة .

وكان صاحب البيت لم يذق طعم الأكل ولا اللحم ، بسبب القلق الذي يساوره ويملأ نفسه ، والهموم التي تنغص عيشه وتقض مضجعه ، فهو وإن كان يبتسم ويبشّ في وجوه الحاضرين ، إلا أنه كان يعيش في دوامة من القلق والخوف من المجهول .

فلفّ الساق في رغيف ورفعها ليأكل منها ، ولكنه تذكر لتوه عجوزاً من جيرانه لا تستطيع القدوم بسبب ضعفها وهرمها ، فلام نفسه قائلاً : لقد نسيت تلك العجوز وستكون الساق من نصيبها ، فذهب إليها بنفسه وقدم لها تلك الساق واعتذر لها لأنه لم يبق عنده شيئاً من اللحم غيرها .

سرت العجوز بذلك وأكلت اللحم ورمت عظمة الساق ، وفي ساعات الليل جاءت حية تدبّ على رائحة اللحم والزَّفر ، وأخذت تقضقض ما تبقى من الدهنيات وبقايا اللحم

عن تلك العظمة فدخل شنكل عظم الساق في حلقها ولم تستطع الحية التخلص منه ، فأخذت ترفع رأسها وتخبط العظمة على الأرض وتجر نفسها إلى الوراء وتزحف محاولة تخليص نفسها ، ولكنها عبثاً حاولت ذلك ، فلم تجدِ محاولاتها شيئاً ولم تستطع تخليص نفسها .

وفي ساعات الصباح الباكر سمع أبناء الرجل المذكور حركة وخبطاً وراء بيتهم فأخبروا أباهم بذلك ، وعندما خرج ليستجلي حقيقة الأمر وجد الحية على تلك الحال وقد التصقت عظمة الساق في فكها وأوصلها زحفها إلى بيته ، فقتلها وحمد الله على خلاصه ونجاته منها ، وأخبر أهله بالحادث فتحدث الناس بالقصة زمناً ، وانتشر خبرها في كل مكان ، وهم يرددون المثل القائل :" كثرة اللقم بتطرد النقم .

حانا ومانا

يُحكى أن رجلاً في سن الكهولة تزوج زوجةً ثانية ، وكانت واحدة من نسائه تُدعى حانا والأخرى مانا ، وكان عندما يأتي إلى الصغرى تدلّله وتلاطفه في الكلام وتمسح على وجهه ، وتخلع بعض الشعرات البيضاء من لحيته حتى يبدو أكثر شباباً ليتناسب مع جيلها ، أما الكبرى فقد أصابتها نار الغيرة وبدأت تقلّد ضرتها في معاملتها مع زوجها ولكنها كانت تخلع الشعرات السوداء من لحية زوجها ليبدو أكثر شيباً وكهولةً ليتلاءم مع جيلها هي ، وبذلك خلعت نساء الرجل شعر لحيته كله ، فصار يقول : بين حانا ومانا ضاعت لحانا .

السيرة الذاتية للكاتب صالح زيادنة

- ولد صالح زيادنة في 16 أكتوبر 1955 م.

- قرض الشعر في سن مبكرة من حياته ، وعبّر فيه عن حبّه لأهله وبلده ووطنه .

- امتاز بحبه للمطالعة فقرأ للعديد من الشعراء والكتّاب ، ولديه مكتبة تحتوي على العديد من الكتب النفيسة والقيمة وأمهات الكتب .

- نشر العديد من نتاجه الفكري في الصحف والمجلات التالية : (الأسبوع العربي ، أخبار النقب ، بانوراما ، كلّ العرب ، الصنارة ، المنبر ، صوت الحق والحرية ، الميثاق ، الرسالة) .

- حرّر الزاوية الأدبية والتصحيح اللغوي في صحيفة الأسبوع العربي مدة عامين (1993- 1994) . ويحررها حالياً بعد أن عادت الصحيفة للظهور .

- حرّر الزاوية الأدبية في صحيفة الرسالة من عام 1996 – 1999 .

- له إطلاع على الكمبيوتر وعلومه وبرامجه ، وعلّم دورات مختلفة في معرفة الحاسوب للطلاب وللكبار من أجل نشر العلم والمعرفة للجميع .

- شارك في العديد من الندوات والأمسيات الشعرية ، وتربطه علاقات حميمة مع كثير من الشعراء والكتّاب العرب في البلاد .

- ينشر القصيدة والمقالة والخاطرة والنقد الإجتماعي في كثير من الصحف المحلية.

- يعد من الشخصيات التي ساهمت بدور بارز في ترسيخ موضوع الأدب وتوثيق التراث في المنطقة .

- يقوم بتنمية المواهب الشابة وتقديمها للجمهور ، ويساعد في نشر ما تجود به قرائحهم الفتية من المقطوعات الإبداعية ، ليقدم رعيلاً جديداً من الكتّاب والشعراء .

له من الكتب :

1. **جمر ورماد : مجموعة شعرية – صدر في 1992 .**
2. **قافلة على الطريق : مختارات شعرية لنخبة من الشباب الموهوب – صدر في 1994.**
3. **من الأمثال البدوية – مجموعة ضخمة من الأمثال الشعبية مع شرحها – صدر في 1997 .**
4. **شارك في كتاب " نحو الشمس " مع زمرة من الشعراء والكتّاب والذي صدر في 1998 .**
5. **أنغام حائرة – مجموعة شعرية – صدر في آب 2001م .**
6. **حكايات من الصحراء - قصص تراثية - صدر في آذار 2003 .**

- شارك في مهرجان الشعر الفلسطيني الثاني في مدينة طمرة في 14- 15 أيلول 2001 م . والذي حضره حوالي 200 شاعر وشاعرة .

- حصل على العديد من الشهادات التقديرية .

- فاز بجائزة التفرغ للكتابة الإبداعية للسنة 2002 / 2003 .

موقعه على شبكة الإنترنت :

http://www.khayma.com/salehzayadneh

البريد الإلكتروني : **z_saleh@hotmail.com**